الشّـــاهـد البـلاغـي فـي مـفـتـــاح الـعـلـــوم لـلسّـكّـاكـيّ

ط/د: مصطفى سالمي
salmimustapha17@gmail.com
تخصص بلاغة وتحليل الخطاب
الأستاذ الدكتور : سليمان بن علي
مخبر اللسانيات التقابلية وخصائص اللغات
جامعة عمار ثليجي بالأغواط، الجزائر.

ملخص:

إنَّ توافق الأداء الفنِّي مع القاعدة كان مناط الجودة عند السَّكَّاكِيّ ولهذا كان تعامله مع الشّاهد البلاغي منتزعا من السّياق الوارد فيه أو بالشّاهد المصنوع أحيانا، هو تأكيد لاهتماماته بالجانب المعياري الّذي يهدف إلى توضيح القاعدة والقانون.

ولكنْ هل لمفهوم التّعليميّة المعياريّة والتّقعيد دور في استعمال الشّاهد البلاغيّ وقلّته وانعدام الذّوق؟، وهل الهدف التّعليميّ والتّدريسيّ يتطلّب القاعدة للتّسهيل، كما يتطلّب الذّوق المران وكثرة الممارسة؟.

كلمات مفتاحية: الشاهد، البلاغة، التحليل، المعيارية، القاعدة، مفتاح العلوم، السّكّاكيّ.

Abstract:

The compatibility of the technical performance with the rule was the path leading to quality and the centre of the critical process at Sakaki. Therefore, his dealing with the rhetorical quotation taken from context aimed at clarifying the rule and the law.

Does prescriptive teaching require mere rhetorical quotations or does it require aesthetic ones? Does the teaching goal requires the rule to facilitate, as requires taste and frequent practice?

Keywords: rhetorical; quotations; rule; Sakaki.

مدخل:

إنَّ جمهور البلاغيّين ونقّاد الأدب ودارسي الإعجاز يَرَوْنَ أنَّ الجرجانيّ هو المؤَسِّس الأوَّل لعلم البلاغة بسماته وخصائصه المميّزة وشواهده المختارة، وقد كانت كتاباته المحور الأساس لأغلب الدّراسات الأدبيّة.

وحتّى السَّكَّاكِيّ في نظر الدّارسين لم يكن سوى ملخِّص بارع لكتابي الجرجانيّ، لِمَا عَرفَت كتابات الجرجانيّ شيئا من الصُّعوبة والدِّقَّة والعمق في أسلوبها وطريقة أدائها. فقد عَنيت الدّراسات الّتي جاءت بعد ذلك بالسَّعيِ

إلى تطبيق مفرداتها والعمل على مسائلها كما فعل الزَّمخشري صاحب الكشَّاف، وإمَّا بتلخيصها والسَّعي إلى توضيحها كما فعل الرّازي في نهاية الإيجاز، وإمَّا بإعادة ترتيبها وتصنيفها وإضافة ما يمكن إضافته إليها كما فعل السَّكَّاكِيّ في مفتاح العلوم.

لقد عرفت التّلخيصات بمنهج الاختصار إلَّا فيما يفيد، ولعلّ الّذي ذهب إليه السَّكَّاكِيّ هو العمل على تقديم منهج ثان مغايرٍ لمنهج الجرجانيّ وإنْ كان عَمَل على كتابه الدّلائل بالإضافة إلى تلخيصه الّذي كتبه الرّازي .

لقد كان السَّكَّاكِيّ يهدف إلى تقديم وتقريب البلاغة إلى الدّارسين في زمنه في ثوب مهذَّب جديد تحكمه خصائص العصر وعقليَّة النّاس الّتي غيَّرتها الحضارة المتأثِّرة بالمنطق وعلم الكلام والفلسفة اليونانيَّة. وقد وصف القزويني في مقدّمته كتاب التَّلخيص أنّ كتابَ مفتاحَ العلوم أعظم ما صُنِّفَ في علم البلاغة ولكنّه غير مَصُون عن الحشو والتَّطويل والتّعقيد.

وكان الاستشهاد سند كلِّ مقال، وحجّة كل خطيب ومحاضر، وهاد لمن أراد أن يذَّكر أو أراد سبيلا. فمن يبتغي مجانبة مواقع الشَّك والرِّيبَة فعليه بالدّليل والبرهان والحجّة البالغة، ولن تكون إلَّا لِمَا ارتضاه النّاس ووقر في قلوبهم وصدَّقته عقولهم، وأثَّر في حركاتهم وسكناتهم، وكان لهم دليل قَوْلٍ، وأُنْسَ مجلسٍ، وفَصْلَ الخطاب في كل نادٍ، ولم يكن هذا إلَّا القرآن الكريم والشّعر العربي في عصره الزَّاهر ومن تبعهم بإحسان فيه.

إنَّ اهتمام السَّكَّاكِيّ بضبط المصطلحات، وتميّيز الأقسام بعضها من بعض، يتَّفق ورُؤيَتُه التّعليميّة المبنيَّة على تزويد طالب علوم الأدب بالمعيار الّذي يحفظ لسانه من الخطأ في استخدام اللّغة والّذي يضبط العمليّة النّقديّة بالحجّة والدّليل.

وفي هذا السّياق من اهتمام السَّكَّاكِيّ لم يلتفت إلى طبيعة الأدب الّتي لا تقبل صرامة القواعد العلميَّة الّتي تستوجب الالتزام بها بعد إقرارها، والقواعد الفنيَّة الّتي لا تزيد عن إشارات تهدي الأديب وترشده، ويبقى في ظلّها يتمتَّع بِحُريَّة واسعة وحركة متجدّدة .

لقد مثلت القاعدة البلاغيّة المقياس الأول في البحث النّظري والتَّطبيقي عند السَّكَّاكِيّ، ولهذا يقرّر شوقي ضيف: " إنَّه [يقصد السَّكَّاكِيّ] بصدد وضع قواعد وقوانين كقوانين النّحو وقواعده"[1]. ويقول أمين الخولي: "ولِمَ لا تكون البلاغة علما معياريّا، إذا كانت الغاية منها كالغاية من النّحو والمنطق في التّحرز من الخطأ، وإقامة معيار للصّحة وما خالفها "[2] .

وفي الحقيقة لم يكن السَّكَّاكِيّ عاجزا عن تقديم دَرْسِهِ البلاغي وفق منهج غير الّذي قدّمه به، ولكنَّ سلطان العصر وظروف البَيْئَة وحاجيّات النّاس مَهَّدت لظهور هذا الباب، أو هذا الوجه من الدّرس البلاغيّ.

مع الأخذ بالحسبان أنَّ السَّكَّاكِيّ لم يأتِ بقانون أو قاعدة أو رأيٍ بلاغيٍّ إلَّا وأَقَامَ له شاهدا و أكثر مع التّمثيل ليقيس عليه القارئ، ولهذا يقول: "وإذا وقفت على البلاغة وعثرت على الفصاحة المعنويَّة واللّفظيّة، فأنا أذكر على سبيل الأنموذج آية أكشف لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحتين ما عسى يسترها عنك، ثم إنْ ساعدك

الذّوق أدركت منها ما قد أدرك من تُحدُّوا بها..." [3]. فقد ربط الشّاهد القرآني مع الاعتماد على الذّوق في فهم المراد والوصول إلى بلاغة الأوائل وبيانهم.

إنَّ توافق الأداء الفنّي مع القاعدة كان مناط الجودة ومركز العمليَّة النّقديّة عند السَّكَّاكِيّ ومدرسته، كما شاهدنا في النَّماذج التَّطبيقيَّة المذكورة في مفتاحه، وهو ما يمكِّنُنَا من القول أنَّ عنايَة السَّكَّاكِيّ ومدرسته بالشّاهد البلاغي منتزعا من السّياق الوارد فيه أو بالشّاهد المصنوع أحيانا، هو تأكيد لاهتماماته بالجانب المعياري الّذي يهدف إلى توضيح القاعدة والقانون حيث تبرز القاعدة في الشّاهد المصنوعة أو المفردة من أصولها بشكل أوضح وأيسر أمام المتعلِّم إذا قيس ذلك بالنَّماذج الأدبيّة الرَّائعة والّتي تحتاج إلى ذوق فنّي مُرهف في إدراكها، والّذي لا شكَّ فيه ولا ريب أنَّه كلَّما توثَّق اتِّصال قِيَمِ البلاغة بالتَّوظيف الفنّي كلَّما أتينا على باب القياس والمعياريَّة، وكلَّما جانبناها دخلنا في باب الذّوق والإبداع الفنّي، وهذا الموقف عرف اختلافا في الأخذ بهذا والاعتماد على ذلك منذ نشأة البلاغة إلى يوم النّاس هذا.

ولكنْ هل لمفهوم التّعليميّة المعياريّة والتّقعيد دور في استعمال الشّاهد البلاغيّة وقلَّتها وانعدام الذّوق؟

وهل الهدف التَّعليميّ والتّدريسيّ يتطلَّب القاعدة للتَّسهيل، كما يتطلَّب الذّوق المران وكثرة الممارسة؟

في حقيقة الأمر ليس التّقعيد هو سبب الجمود بالتَّعامل مع الدّرس البلاغي عموما واستخدام الشّاهد على الخصوص. فقد لجأ علمائنا القدماء إلى هذا المنهج بغرض تقريب علوم البلاغة إلى المبتدئين، وإعانتهم في تحصيل علومها ونيل لطائفها، فالأمر إذًا عائد إلى المنهج المتَّبع لا الغاية والهدف، لأنَّ منهج السَّكَّاكِيّ متشرِّب بالفكر المنطقيّ والحدِّ والاستدلال والافتنان بالتَّقعيد على أصول المتكلّمين والمناطقة.

ومادام للاستشهاد مصادره ومنابعه الّتي تعارف عليها النّقاد والدّارسون، ورتَّبُوها وبوَّبُوها، وقد كان أعلاها ذروة سنام البيان وهو كلام ربِّ العالمين لأنَّه الأسمى والأصدق والأعلى ومن أحسن من الله قيلا.وهذا ما جعل السَّكَّاكِيّ يذهب فيه كلَّ المذهب، مثل الّذي اعتمده الجرجانيّ وأخذه الشّاهد الشّعري كلَّ مأخذ.

ولأنَّ السَّكَّاكِيّ يريد تأكيد القاعدة فطلب لها شاهدا في أعلى درجات الصِّحّة والقبول، ولا يبحث عن وجوه الاختلاف، ولا اعتمد على الموازنات، بل كلّ سَعْيُه هو تحقيق القول على القاعدة بإسنادها إلى كلام ربِّ العالمين شاهدا على أحقيَّتِه في تِبْيَان ذلك.

أهميّة الشّاهد القرآني ووظيفته :

أجمع علماء اللّغة والنّحو على اتخاذ القرآن الكريم على رأس مراجع الاحتجاج في جميع علوم اللّغة، لإثبات صحَّة لفظ أو تركيب أو معنى من المعاني، وذلك باعتباره قمّة البلاغة والفصاحة في اللّغة العربيّة . وأعلى مراحل البيان العربي الّذي عجز العرب عن أن يأتوا بمثله فقد سَفَّه أحلامهم وتحدَّاهم في أحسن ما يملكون وأكثر شيء استطاعوه، وأكبر فخرهم وعزِّهم وأنبَلَ ما تناولوه بالمدح والوصف.بأن يأتوا بسورة واحدة من مثله ولو اعتمدوا في إعانة الجن لهم.

وأنَّ فضل القرآن على الشّعر معروف ظاهر في تاريخ الدّرس اللّغويّ العربيّ، فلوْلَا القرآن الكريم ما جُمِع الشّعر وما عُنِيَ به، لأنَّه أداة ووسيلة لفهم كلام الله، فتناقله العلماء وسارعوا في حفظه والاستشهاد به في فهم كلام الله عزّ وجلّ وهذا دليل على بيان القرآن على بيان الشّعر .

وعلى هدى الآيِ القرآني صحَّح العلماء الشّعر وأساليبه، وهذا خبر ذي الرُّمَّة حين قام ينشد النّاس في الكوفة:

إذَا غَيَّـرَ النَّأْيُ المُحِبِّينَ لَـمْ يَكَدْ !!! رَسِيسُ الهـوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ[4]

فلما انتهى إلى هذا البيت ناداه ابن شُبْرُمَةَ: يا غَيْلَان: أُرَاهُ قد بَرح !

فشَنَق ناقته وجعل يتأخَّر بها ويفكِّر ثمَّ قال:

إذَا غَيَّـرَ النَّأْيُ المُحِبِّينَ لَـمْ أَجِدْ !!! رَسِيسُ الهـوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

قال عنيسة [راوي الخبر]: فلَّما انصرفت حدَّثْتُ أبي، قال: "أخطأ ابن شُبْرُمَةَ حين أنكر على ذي الرُّمَّة وأخطأ ذو الرُّمَّة حين غيَّر شعره لقول ابن شُبْرُمَةَ، إنّما هذا كقول الله تعالى: "ظُلُمَـٰتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا" [النور/40] وإنّما هو لم يَرَهَا ولم يكد"[5].

وكان الفرَّاء يقول: "الكتاب أَعَربُ وأَقوى حجّة منَ الشّعر"[6].

وقد ذكر السَّكَّاكِيّ في مفتاحه كلاما واضحا في بيان مقصوده من تقديم الأنموذج التَّطبيقي إقرارا للمعايِير القاعديَّة الّتي أفاض في بيانها وتحديدها في علميْ البيان والمعاني، ومذكِّرا القارئَ بأنَّ ما يفعله هنا ليس إلَّا مجرد إرشاد له ليسلك الطّريق القويم ويقول: "فإنّما أذكر على سبيل الأنموذج آية أكشف لك فيها ..." فالمقصود من الاستشهاد بآيِ القرآن أنَّه لتقرير القاعدة أوضحَ وأبينَ"[7].

ويقول: "ولله درُّ الّتنزيل لا يتأمَّل العالم آية من آياته إلَّا أدرك لطائف لا تَسَعُ الحصر، ولا تظنَّنَّ الآية مقصورة على ما ذكرت، فلعلّ ما تركتُ أكثر مما ذكرت لأنَّ المقصود لم يكن إلَّا مجرد إرشاد لكيفيَّة اجتناء ثمرات علمي المعاني والبيان"[8].

ولعل سرَّ السَّكَّاكِيّ في استعماله الشّاهد القرآني واعتماده عليه أكثر كون الهدف منه حصر قواعد العلم وضبطها، ولا شكَّ أنَّه لن يجد كالشّاهد القرآني مُعِينا له على ذلك، وليس في الكتاب متَّسعٌ لموازنات ومناقشات بين جيّد الشّعر ورديئه.

والنّصّ القرآني نصٌّ محكوم عليه من أوَّل الأمر بالرَّوعة والبلاغة، ولا توجد فيه ساحة للموازنة، وهذه الموازنات مهمَّة عند وضع الأسس لا عند تقريرها وتبيّنها لطلبة العلم.

منهج السَّكَّاكِيّ في استعمال وتوظيف الشّاهد البلاغيّ:

النّاظر في تاريخ النّقد العربي يلحظ تعدُّد المقاييس النّقدية الّتي اتخذ منها النّقاد والبلاغيّون معيارا يقيّمون بها العمل الفنِّي، فكان منها المقياس الخُلقي والمنطقي والدّيني واللّغوي والنّحوي والفنِّي، وذكروا الصِّحة والخطأ

والصّدق والكذب والوضوح والخفاء، الاعتدال والإفراط والفصاحة والغرابة ...وكان الذّوق الأدبي المرهف والتّحليلات الأدبيّة الذّكيّة أداتهم المقدّمة مع اهتمام متزايد مع الزّمن بالقوانين والقواعد والتّقسيمات الضّابطة.

إنّ الميول إلى القاعدة أو التّقعيد في اللّغة العربيّة وعلومها ابتدأ يوم عُرف اللّحن وظهر على لسان النّاس فبدأت بَوادِر التّقعيد تظهر عيانا في مناهج التّأليف، ووُضعت المعايير الّتي تحفظ اللّسان من الزّلل والخطأ والعُجمة وتُعين الذّوق في إدراك الأسرار العجيبة لكلام ربِّ العالمين، ثم الوقوف على الجمال الفنّي في الإبداع وجمال البيان العربيّ، وكلُّ هذه القواعد يدركها العقل، ويحثُّ عليها المنطق السّليم والصّحيح، ولم يُعب على الأوائل لجوؤهم للتّقعيد لأنّهم أدركوا الحاجة الملحّة لزمانهم ودعوتهم الضّروريّة لحفظ اللّسان في زمن اختلط فيه العربيّ بالعجميّ وهذا الدّاعي والسّبب أي سلطان الزّمان هو نفسه الّذي دعا السّكّاكِيّ إلى تأليف مفتاح العلوم على معايِيرِ حضارةٍ دعتها الضّرورة والحاجة لذلك الزّمن[9].

أمّا من ناحية الاصطلاحات فقد اهتمّ العلماء بها عندما كانت أقرب ما تكون إلى المفهوم اللّغويّ لألفاظها، فظهرت عند الجاحظ وابن قتيبة وتبلورت إلى حدٍّ كبير عند الجرجانيّ في الدّلائل والأسرار خصوصا وأخذت شكلها النّهائيّ وصورَتَها بشكل صارم على يد السّكّاكِيّ ومن بعده.

إنّ الفترة الزّمنيّة الفاصلة بين الجرجانيّ والسّكّاكِيّ تقارب القرن والنّصف وهي مدّة زمنيّة كافية تسمح بظهور مفهوم المتقدّم والمتأخّر بينها، فكانت رؤية السّكّاكِيّ تقابل رؤية الجرجانيّ المتأخّر، وهي مدّة زمنيّة كافية أيضا للنّظر في اختلاف العصرين الّذين حدّدا خطة بناء كلّ مذهب ومنهج[10].

لقد عكف النّاس على مفتاح العلوم تلخيصا وشرحا وتهميشا ونظما، وبقدر اهتماماتهم به نقرأ في الكتب انتقادات كثيرة تناقض ذلك الاهتمام الملحوظ من كبار العلماء في البلاغة والنّقد .

فهل هذا تميُّز في كتاب السّكّاكِيّ؟

أم أنّ التّميُّز كان صفة في بيئة تأليف الكتاب؟

أم أنّ ملكات النّاس الأدبيّة وذوقهم توقّف عن الإبداع؟

أم أنّ قهر الزّمان وظروفه حتّم هذا النّوع من الدّرس والمدارسة؟

لقد عرف المشرق العربّي في زمن السّكّاكِيّ وقبله ميولا لعلوم المنطق والفلسفة وعلم الكلام، وتفاخر النّاس بطلبهم لها وقيس أهل العلم به، فكان ميزة هذا العصر ودرجته، فأبعدهم ميولهم هذا عن البعد الجماليّ الذّوقيّ في البيان العربيّ، وكان كلّ سعيهم إلى تقنين هذا الكلام والتفنُّن في الصّنعة والتّصنُّع في بديع القول وكانت الحاجة إلى وجود منهج تعليميّ يعيد للبلاغة حقّها ويمسكها عن الضّياع.

هذا المنهج هو الّذي تبنّاه السّكّاكِيّ بمعايِير منطقيّة تعين طالب العلم على إدراك الخطأ من الصواب قبل مرحلة التّذوق الفني الّذي هو في أمسِّ الحاجة إلى الطّبع السّليم والسّليقة العربيّة .

فالسّكّاكِيّ لبىَّ حاجة ملحّة لأهل زمانه، وكتابه المفتاح أعان على حفظ البلاغة العربيّة، وروَّج لها، ولكنّه لم يسعَ إلى تطويرها لأنّ الهدف هو الحفظ والصّيانة والدّرس. يقول محمّد صوفيّة: "والسّكّاكِيّ من أعلام البلاغة له

منهجه المتميّز به في عرض المسائل العلميَّة البلاغيّة، وهذا المنهج يعتمد على التَّقرير والتّقعيد والاستغناء بشاهد أو مثال لما يشرحه من المسائل، وضبط المسائل والأقسام بتعاريف محدَّدة وقواعد ثابتة، وهو يهدف بذلك إلى تسهيل التَّحصيل العلميّ والقدرة على الاستيعاب والحفظ خاصَّة على النَّاشئين والمبتدئين"[11].

وقد عمد السَّكَّاكِيّ إلى تلخيص الرّازي لكتابيْ الجرجانيّ، وقد أحكم فهم ابن الخطيب الرّازي أنَّ الجرجانيّ أهمل رعاية ترتيب الفصول والأبواب، وأطنب في الكلام كلَّ الإطناب، وأنَّ ابن الخطيب اِلْتَقَطَ من كتابي الجرجانيّ معاقد فوائدهما ومقاصد فرائدهما وراع التَّرتيب مع التَّهذيب والتَّحرير مع التّقرير[12].

وقد وقع هذا في نفس السَّكَّاكِيّ وصادف ما جُبل عليه طبعه من ميل إلى التّحديد والضَّبط فاتَّجَهَ في كتابه المفتاح إلى ضبط معاقد هذا العلم.

ولهذا كان منهج التَّعامل وتوظيف الشّاهد مختلفا بين مدرسة الجرجانيّ ومدرسة السَّكَّاكِيّ الّتي ورثت علم الجرجانيّ وبحثه في البلاغة.

اختيـــار الشّاهد البلاغيّة:

ليس عيبا أنْ يأخذ اللّاحق عن السَّابق بشرط أنْ يكون له رأيٌّ أو إضافة، وهذا ما عرفناه عند الجرجانيّ فقد استشهد وأشار واختار هو بنفسه فبيَّن وأضَاف، أمَّا السَّكَّاكِيّ ومن بعد فلا نجد تنْبِيها ولا إضافة إلَّا القليل النَّادر، وهو الأمر الّذي يشير إلى عدم التّركيز على اختيار الشّاهد، يقول أحمد مطلوب: "فقد أهمل كلَّ مقاييس الذّوق حينما شرع يبحث عن البلاغة بروح منطقيَّة ثقيلة الظِّل على الدّراسات الأدبيّة "[13].

ولكنّه كان ينقل عن الجرجانيّ أمثلة وشواهد أوردها في الدّلائل، تقول الباحثة نجاح الظهار: "فالنّاظر في كتاب الدّلائل وكتاب المفتاح والإيضاح لا بد أنْ يلاحظ ذلك التّأثر الشَّديد بشواهد الشَّيخ"[14].

لقد أخذ السَّكَّاكِيّ ما يقارب ثمانين "80" شاهدا عن الجرجانيّ وخاصّة الشّعريّة، بينما أضاف أكثر من مئة وسبعين شاهدا شعريًّا "170"، يقول محمّد بركات: "يَنقُل السَّكَّاكِيّ عن عصور مختلفة من الجاهليّ والإسلاميّ والأمويّ والعبّاسيّ ومن عصره [626 هـ] أي أنَّه يجمع في شواهده بين القَّديم والحديث آنذاك ..."[15] فاختيارات السَّكَّاكِيّ كانت كلُّها في صلب الموضوع، وتحمل سمات جماليّة واضحة ولكنّه لم يحلِّلها كما عوَّدنا الجرجانيّ في تحليلاته.وشواهد الجرجانيّ الّتي ساقها السَّكَّاكِيّ لو أحسن التَّعامل معها، وحُلِّلَت على منهج الجرجانيّ بالاعتماد على الذّوق لوجدنا علما غزيرا وفوائد جمَّة.

كما وجدنا النّقاد يصفون الشّاهد البلاغيّ بالجمود، لأنَّ صفة الذَّم واقعة في عمل التِّكرار دون إضافة. هذا ما ألزمه المنهج الّذي اتَّبعه، فهدفه هو: أنْ يقرِّر في أذهان المتلقّين ما يريده هذه هي سمة المُعلِّم ومن مقاصد السَّكَّاكِيّ في بلاغته التَّعليم"[16].

لقد استشهد السَّكَّاكِيّ بالشّعر والقرآن والنّثر، وإنَّ أكثر استشهاده كان من القرآن الكريم، يقول أحمد مطلوب: "وقد أكثر من الاستشهاد بالقرآن الكريم وهذا أمر طبيعي لأنَه يريد أنْ يُظهر ما في آيات الكتاب من روعة وإبداع وبلاغة"[17].فَنَوْعُ الشّاهد متقاربة وتختلف فقط في جانب القلَّة والكثرة، ومن الظّواهر الّتي تتعلَّق بهذا الموضوع أنَّ

الجرجانيّ قَلَّما يذكر الشّاهد مَجزُوءًا فالأغلب ذَكَرَهُ كاملا، وهو كذلك في الآيات القرآنيّة، بينما السَّكَّاكِيّ كثيرا ما يقتصر على مواضع الاستشهاد طلبا للاختصار.

يقول في إثبات المسند: "ولأنَّ إصغاء السَّامع مطلوب فيبسط الكلام افتراضا بسط موسى إذ قيل له: "وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ"[18] [طه/17].

وقال في المسند إليه إشارة: وقولها فيما يحكيه جلَّ وعلا: "قَالَتْ فَذَلِكُنَّ"[19] [يوسف/32]

وقوله في التَّقديم والتَّأخير مع الفعل: "وَ بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ"[20] [البقرة/4].وقال: "وفي الشّعراء: "رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ"[21] [الشّعراء/48].وقوله: "فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ"[22] [النحل/98].

وقال: "في موضع أرَدْنَا هلاكها بقرينَة: "أنَّهم لا يرجعون" أي عن معاصيهم ..."[23].

أمَّا الشّعر فنجد عنده ما يقارب من عشرين "20" شاهدا شعريًّا مجزوءا أو مشطورا، ولا بدَّ أنَّ هذا يؤثر في مدلول التّركيب ويضعف من تأثيره، يقول أحمد مطلوب: "وكان من أثر اهتمامه بالشَّكل أنْ قلَّلَ الشّاهد وبَتَرَ كثيرا من الأبيات الشّعريّة فأصبحت مسْخًا لا يَفهم منها القارئ شيئا ..."[24].

ولعلَّ الباحث أحمد مطلوب بالغ لأنَّ عشرين بيتا مجزوءا و مشطورا مع ما يقابلها السَّكَّاكِيّ والّذي يقارب مئتان وخمسون شاهدا "250" قليل، وقد كان السَّكَّاكِيّ يَبْتُر الأبيات عمَّا قبلها وما بعدها فيقطعها عن أصلها.

ومثاله قوله في تساوي طرفي التَّشبيه: "ثم نظير المذكور في حذف المضاف والمضاف إليه قول القائل:

أَسْــأَلُ البَــحَّــارَ فَـأَنْـتَـحِـي لِلْـعَـقِــيق !!!

وقوْلُ الآخر:

وَقَـد جعلَـتْـني من خُزَيْمَـة إِصْبَــعا[25] !!!

وقوله في المجاز اللّغوي: "كقول العجّاج:

وَفَــاحِـمًا وَمِـرْسنًـا مُـسَرَّجًــا"[26]. !!!

وفيه كقوله: "كقول من قال:

أَسْـنِمَـةَ الآبَــالِ فــي سَحابَه"[27]. !!!

وقد أورد الجرجانيّ المجزوء أيضا في عشرة مواضع من كتابه الدّلائل، ولكن كانت السِّمة الغالبة هي ربط الشّاهد البلاغي بما قبل وما بعده، حتّى لا يسقط السّياق عن التّحليل.

ولو أجرينا موازنة بين شواهد الجرجانيّ وعدد شواهد السَّكَّاكِيّ لوجدنا:

الشّاهد الشّعريّة الآيات القرآنيّة

الجرجانيّ ⟵	478 شاهدا	260 شاهدا
السَّكَّاكِيّ ⟵	250 شاهدا	500 شاهدا

والجرجانيّ أكثر استشهادا في مجموع الشّاهد ككلّ من السَّكَّاكِيّ، نلاحظ من هذه المقارنة عناية السَّكَّاكِيّ بالشّاهد القرآني ووفرته، وقد تجد بعض الصَّفحات تكتظُّ بالآيات حتّى أنَّها لَتُعَدُّ بالعشرات[28].

وقد تَخْلُوا بعض الصّفحات من الشّاهد الشّعري تَماما، وتكون مليئة بالشّاهد القرآني. ففي فصل اعتبارات الفعل وما يتعلّق به: منْ ترْكِ الفعل إلى تركِ المفعول به لم يستشهد ببيت شعر [29].

ومع هذا كلِّه لم تشفع هذه الكثرة من الشّاهد القرآنيَّة للسَّكاكي في رفع اللَّومِ فيما يخصّ بعد الأسلوب الجماليّ وطغيان المنطق، لأنَّ الأمر الأهمّ عائد إلى طريقة التَّعامل معها لا إيرادها.

التَّـوثيــق والـنِّـسبــة:

لقد كان حبُّ الاختصار والإيجاز والاهتمام بالقاعدة سببًا في عدم العناية بنسبة الشّاهد، وقد نسب السَّكَّاكِيّ ما يقارب ثلاثون شاهدا من أصل مئتان وخمسون شاهدا.

وقد تابع السَّكَّاكِيّ الجرجانيّ في نسبه الشّاهد لأصحابها وترك ما يتركه، وربما حتّى ما نسبه الجرجانيّ ولم يذكر صاحبه.فذكر في باب الكناية شاهدان قرآنيّان، وثلاثة عشر شاهدا شعريًّا نسب سبعة وأهمل ستَّة[30].

بينما أورد الجرجانيّ ثمانيَّة عشر شاهدا شعريًّا، لم يخرج عنها السَّكَّاكِيّ إلَّا في شاهد واحد، وتابع الجرجانيّ في النِّسبة والإهمال.وغالبا ما يختاره السَّكَّاكِيّ دون الجرجانيّ يكون دون نسبة.

وفي باب الحذف أورد الجرجانيّ ثلاثة وثلاثين شاهدا شعريّا نسب منها واحدا وعشرين "21" وأسند ثلاثة[31]. بينما السَّكَّاكِيّ لم ينسب واحدا لقائله.

ولكنْ هناك ملاحظة وهي أنَّ عصر التَّحقق والاستشهاد بَعُدَ عن زمن السَّكَّاكِيّ، وكان للجرجانيّ أقرب فكلُّ واحد أصبغ بحثه بصبغة أهل عصره، ولقد قلنا أنَّ اعتماد الجرجانيّ على المولّدين لا عَيْبَ فيه لأنَّه يبحث عن الذّوق ويستهدف البعد الجماليّ في التّركيب والأسلوب، لا صاحب القول ولا اللّفظ بل التّركيب والاستعمال ولهذا فلا يُعاب على السَّكَّاكِيّ إهمال نسبة الشّاهد لأصحابها، فليس الغرض عنده تَأْريخُ ونسبة الأبيات.

طريقة تحليلــه للشّــواهـد البـلاغيّـــة :

يقول السَّكَّاكِيّ: "وما ضَمِنْتُ جميع ذلك كتابي إلَّا بعدما ميَّزت البعض عن البعض التَّميّيز المناسب ولخَّصْتُ الكلام على حسب مقتضى الحال"[32].

إذن: هدفه جمع كلام السَّابقين وتميِيزه واختيار المناسب منه وتلخيص ذلك، ويُمَكِّنُنَا ذلك من تلَمُّس معاملة السَّكَّاكِيّ للشّواهد البلاغيّة تحليلا.

التّـمهيـد لـلـشّـاهـد :

في الغالب يقوم السَّكَّاكِيّ بتقديمٍ يُبَيِّنُ فيه الغرض ومقتضيات الفصل، ويُضمِّن هذا التَّقديم أو التَّوطئة مناقشات علميَّة وغالبا أمثلة مصنوعة، ثمَّ يورد ما يشاء من الشّاهد القرآنيَّة أو الشّعريّة دعما وتأكيدا لما ذكره وقرَّره يقول: "ومَهَّدْتُ لكلٍّ منْ ذلك أصولا لائقةً، وأوردت حججا مناسبة"[33].أي يُقَعِّد للقاعدة، ثم يستشهد لها بالشّاهد.

دعـم أو ربـط الشّـاهـد بسابقـه ولاحقـه: السّيـاق العـام.

ذكرنا فيما سبق أنَّ السَّكَّاكِيّ عَمَدَ إلى بتر الشّاهد عن سابقتها أو لاحقتها، بل عن سياقها. ولا يهمُّه من إيراد الشّاهد إلَّا ما يخدم قاعدته ويُدلِّلُ على قوله، حتّى الآيات كان يورد اللّفظ الشّاهد أو الحكم الّذي يريد منها فَيُوردها مجزوءة عن أقرب مفردة لها، وهذا كلُّه من دواعي التَّلخيص وإنْ ذكر أحيانا الشّاهد معه البيت أو البيتين وهو قليل[34].

لقد وقف الجرجانيّ عند حدود الجملة لم يتجاوزها إلَّا قليلا، ولم يحاول النّظر إلى الآية نظرة كليَّة شاملة متعاونة الأجزاء متفاعلة في مكوِّناتها في ضوء موقعها من السّياق بشكل عام، وتلك سمة الدّراسة البلاغيّة النّقديَّة قبله.

لقد طبَّق السَّكَّاكِيّ النّظرة الجزئيَّة في توصيف الآية كلمةً كلمةً، يعدِّد ما فيها من أنواع البيان والمعاني دون النّظر إلى السّياق العام الّذي تعيش في أحضانه.

ولن تجد منه بعد ذلك نظرة نقديَّة شاملة تكشف عن جمال الآية من خلال تعاون ألوان المعاني والبديع والبيان والفصاحة وعلاقة السّياق ووحدة النّصّ في رسم المعاني، وأنظر مثلا في تحليل الجرجانيّ لـقولـه تـعالى: "وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" [هود/44].

فقد تناول الآية كاشفا عن التَّعاون والتّكامل في رسم المعاني وتحقيق الجمال الفنِّي وهي لبنة واحدة، كان يمكن للسَّكاكي أنْ يبني عليها في التّحليل ولكنّ الجرجانيّ استخرج من الآية أسرار بلاغيّة للدَّلالة على كثرة ما فيها من أنواع ووسائط بيانيَّة [35]، إنَّ هذا العمل الّذي قام به السَّكَّاكِيّ مع هذه الآية يصلح كما تصلح كلُّ تحليلاته في الإطار التَّعليميّ، ولكنْ للعمل النّقدي فليس هذا هو أسلوبه ولا ميدانه، وهذا ما طُبع عليه المفتاح فيذهب إلى بتر الشّاهد عن سابقه ولاحقه.

عـدم الـعنـايـة بـالـمـوازنـة:

وهذا كذلك من أثر الجنوح للاختصار والتَّلخيص، فقارئ المفتاح لا يجد تلك الموازنات القائمة في الدّلائل على إيقاظ الهمَّة وإعلاء الذّوق، وكانت سببا حتميًّا عند الجرجانيّ لإثبات نظريَّته، أمَّا السَّكَّاكِيّ فقد أبعدها لأنَّه بِصَدَدِ إخبار قومٍ لا يبحثون عن المجابَهة بقدر ما يريدون كتابا يُدرِّسونه لمبتدئيهم.

أسلـــوب الـتّـحليـل:

لا يظهر لقارئ المفتاح ذلك الوجه المشرق في التّحليل الجرجانيّ، إنّما يجد كلمات معدودة تحيط بالشّاهد وأحيانا تكون إلى الإلغاز أقرب منها للإيضاح والإفصاح، ولا عجب في هذا إذا تذكرنا قوله في المقدّمة:"وَأُورِدُ حُجَجًا مناسبة" ففي باب الحذف عرض تسعة شواهد شعريّة وستَّة عشر آية، ولم يحلِّل شيئا منها، وانظر مثلها عند الجرجانيّ تجد بُعْدَ المشرقين، وهذا لا يعود لأنَّ الجرجانيّ صاحب ذوق و السَّكَّاكِيّ لا ذوق عنده، بل هو المنهج المتَّبع.

و أحيانا يُفسد المقال بمصطلحات غارقة في المنطق يدخلها في موضوع البلاغة، منها تلك المقدِّمة المنطقيَّة الّتي قدم بها لدراسة القانون الثّاني من قانُونَيْ علم المعاني وهو الخاص بالطَّلب، وهي مقدِّمة مكانها علم المنطق لا البلاغة[36].

بل إنَّ السَّكَّاكِيّ لم يُخْفِ اعتقاده بالتَّـرابط الوثيق بين المنطق والبلاغة فيدرس علم الاستدلال في القسم الثّالث من المفتاح وعقب درس البلاغة على أساس أنَّ تتبُّع تراكيب الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصِّها مـمَّا يَلزم

صاحب علم المعاني والبيان[37].

فكان أسلوب السَّكَّاكِيّ أسلوب العالم لا أسلوب النّاقد الأديب، والعالم تهمُّه الصِّحة والقاعدة قبل كلِّ شيء، وأَوْرَث ذلك تلاميذه من بعده.

القـاعـدة والـذّوق:

إنَّ الكشف عن القِيَمِ الفنيَّة والجماليّة، وبيان المعاني الظاهرة والخفيَّة من أساسيَّات العمليَّة النّقديَّة الّتي ينبغي أن يقوم بها النّاقد، لذا وجب عليه أنْ يتسلَّح لها بكلِّ أداة ممكنة. والقاعدة والذّوق فضلاً عن الطّبع المستقيم هم عُدَّة النّاقد، وقد ربط السَّكَّاكِيّ بين صحَّة الإدراك للمعاني والذّوق السّليم على نحو ما ذهب إليه الجرجانيّ: "إنَّ مَلاكَ الأمر في علم المعاني هو الذّوق السَّليم والطّبع المستقيم، فمن لم يُرزَقهُما فعليه بعلوم أخرى"[38].

إنَّ الإعجاز عند السَّكَّاكِيّ أمر عجيب لا يقبل التّحليل أو التّعليل ولا يمكن وصفه، كاسْتِقامة الوزن تُدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة: "ومدرك الإعجاز عندي هو الذّوق ليس إلَّا"[39].

ويقول أيضا بعد ردِّ التُّهم عن القرآن كالقائلين بالصِّرفة، والقائلين بمُبَايَنَةِ أساليب العرب في خطبهم وفي أشعارهم فقال: "فهذه أقوال أربعة و يُخمِّسُها ما يجده أصحاب الذّوق منْ أنَّ وجه الإعجاز هو أمرٌ من جنس البلاغة والفصاحة ولا طريق لك إلى هذا الخامس إلَّا طول خدمة هذين العلمين، بعد فضل إلهيٍّ من هبة يَهَبُهَا بحكمته لمن يشاء، وهي النّفس المستعدَّة لذلك"[40].

يؤكِّد السَّكَّاكِيّ على ضرورة تحكيم الذّوق من خلال ربطه بالمعايِير البلاغيّة حين بيَّنَ أنَّ طريق اكتسابه بعد سلامة الطّبع لا يكون إلَّا بتعلُّم البلاغة والفصاحة، ثم يقول بعد الكلام عن الإسناد الخبري: "وإنَّ هذا الفنّ لا تَلِينُ عَرِيكَتهُ ولا تنقاد قُرُونَتَهُ لمجرد استقراء صور منه وتتبع مَظَانِ أخواتٍ لها، وإتعاب النّفس بتكرارها، واستيداع

الخاطر حفظها وتحصيلها، بل لا بدَّ من ممارسات لها كثيرة، ومراجعات فيها طويلة، مع فضل إلهيٍّ من سلامةِ فطرة، واستقامةِ طبيعة، وشدةِ ذكاء، وصفاءِ قريحة، وعقلٍ وافرٍ"[41].

وهذا لا يلغي أهميّة القاعدة وفائدتها إلى جانب الذّوق، وفي ذلك يقول الجرجانيّ: "إنَّه لا بدَّ لكلِّ كلام تستحسنه ولفظ تستجيده .... علَّة معقولة، وأنْ يكون لنا إلى العبارة عن ذلك سبيلًا، وعلى صحَّة ما ادَّعيناه إلى ذلك دليل"[42].

إنَّ الاقتصار على القاعدة والشّاهد في بلاغة السَّكَّاكِيّ، أمر نَتَجَ لفصل الدّراسات البلاغيّة عن النّقد، إذْ البلاغيُّ والحال هذه لا يرى مهمَّته مقصورة على تعريف وشرح الظّاهرة البلاغيّة وسرد الشّاهد عليها فقط دون تحليلها وبيان أبعادها[43].

و من ثمَّ فإنَّ العودة إلى إحداث تلاقٍ وتزاوج بين الدّرس البلاغي والنّقدي قد يكون مفيدا في تحليل الظّواهر الأسلوبيَّة وتحليل النّصوص.

وبهذا ندرك أنَّ الأمر كلُّه عائد إلى منهج التَّعامل مع الشّاهد وخدمته، فالمعوّل عليه هو خدمة الشّاهد وليس عَيْبًا تَكرَاره، وإنْ كان الاختيار هو الأفضلُ، وإنّما العيب في تركه غُفْلًا، أو اجترار ما قيل حوله، هذا ما حدث مع الجرجانيّ وإن كان مسبوقا في بعض شواهده و لكن ما ضرَّه هذا.

ولم يكن ينقص السَّكَّاكِيّ عدم قدرته على التّحليل، بل دفعه إصرار المنهج وقواعد المنطق ومجارات العصر واتِّباعٌ للهدف التَّعليمي، وهو بذلك صوّر تلك الفترة الزّمنيَّة تصويرا صادقا.

بَيْدَ أنَّ من المهم أنْ نعلمَ إنصافا للسَّكّاكيّ ومنهجه المنطقيّ في البحث البلاغيّ أنَّ البلاغة في تحليلاتها المنطقيَّة قد تحدَّدت لها مباحثها الأساسيّة على نحو من الإحكام والدِّقة والتَّنظيم لم تعرفه قبل السَّكَّاكِيّ، وأنَّه جمع شَتَاتَ هذه المباحث وبَوَّبَها تبويبًا منهجيًّا شديد الصَّرامة، ولكنَّ الإسراف في الأحكام والدِّقة والصَّرامة، كان على حِساب الذّوق الأدبيّ والتّحليل الفنِّي اللّذان لا يقلّان أهميّة بالنِّسبة للبحث البلاغيّ.

كما أنَّ مقاييس السَّكَّاكِيّ ومدرسته جديرة بأنْ يُنظر إليها في إطار تصوُّر حضاريّ واسع لتلك الفترة ولكن ستبقى العمليَّة النّقديَّة أوسع من تقرير الخطأ والصّواب في الإبداع الفنِّي، لأنَّ طبيعة الإبداع تقتضي بُعدا ذاتيًّا وذوقيًّا مرهفا، وبطبيعة الحال فإنَّ الذّوق والإحساس يَتَلَقَّيانِ التَّوجيه العلميّ المستمدّ من القواعد المقرَّرة وتراكم المعرفة الّتي سطَّرها العلماء في الأدب والفنِّ.

وفي خاتمة البحث سجّلت بعض الملاحظات والنّتائج :

لقد كانت قراءة كلِّ عالم لباب من أبواب العلم بمثابة تمحيص لهذا الباب من شوائب الضَّعف وصقلٍ لأفكاره، وإعادة ترتيب لها، حتّى يُرى الباب وكأنَّه صار شيئا جديدا، وبدت منه فوائد وطرائق جديدة .

ولقد كان درس السكاكي في كتابه المفتاح الفاتح له عن قراءات عميقة لتراث سلفه، فكانت قراءته للتُّراث إحياءً له بطريقته، ولهذا كانت قراءته حيَّة في زمنه، بل تعدَّته إلى عصرنا الحديث، وإنْ كان كَتَبَ مفتاحه منْ أجْل زمنِه ولأجله. فقد أنار طُرُقًا لطلب علم البلاغة، وسهَّل منابعه وبَسَطَ تدرُّجاته، ورسم خرائط الأخذ منه، ووزعَّ أبوابه حسب مقتضيات العقل والمنطق، ورسم طريقا لِلْأخذِ من هذا العلم الدَّفين، وكيفيَّة تناوله وفهمه .

و لهذا فإنَّ كلَّ قراءةٍ حيَّة للإبداع هي تجربة عقل حيٍّ نَشطٍ، تلتقي مع قراءة حيَّة لعقلٍ حيٍّ آخر، ولابدَّ أن يكون التقاء هاتين القراءتين والتجربتين مُفْضيًا إلى شيء جديد ومُعْطِيًا ثمرة جديدة.

فكانت قراءة السكاكي للشّواهد البلاغيّة تعبّر عن تجربة خاصّة، طُبعت أو صُبغت بصبغة ذلك العصر فأخذ فيها منهجا مسايرا له مؤدِّيا للنَّتائج المرادة، وهذه القراءة تختلف عن قراءة غيره من العلماء للشّواهد البلاغيّة، ولهذا اختلفت طُرُقُ التَّعامل معها واستعمالاتها.

وأوَّل ما يصادف هذا الفهم ويؤيِّدُه أنَّ كتاب السَّكَّاكِيّ لم يحاول أن يجعله كتابا في فنٍّ واحد وهو فنُّ البلاغة، بل جعله عرْضًا لعلوم العربيّة. ولم يعرض للبلاغة إلَّا في قسمه الثّالث، ولهذا لم تكن غاية السَّكَّاكِيّ التّأليف في البلاغة العربيّة .

نستطيع ممَّا تقدم أنْ نسجِّل ملاحظات على تلك الرُّؤية الدَّاخليَّة للدّرس البلاغيّ والنّقديّ عند السَّكَّاكِيّ، وذلك من خلال تَلَقِّيه للشّواهد البلاغيّة، فكانت غاية الدّرس هي رأس الأمر في تعامله مع هذه الشّواهد. والشّواهد بمعنى فهم وتقديم ونقد وتخطيط الدّرس البلاغي لأنَّها عمود الأمر. وهذه الملاحظات هي كالتالي:

- ✓ إنَّ التّفسير والتّأويل وهما عنصرا التَّلقي ناتج ثقافيّ قائم على الْـمُمْكِن والمتغيّر، ولذلك فهو حاصل في الأفهام على مقدار اختلافهما وتفاوتهما، ولهذا فهو مرهون بشروط تاريخيَّة وزمنية، وبظروف ذاتيَّة وإنسانيَّـــة، بينما الخطاب الأصل-الإبداع- هو إنتاج ثقافيّ، وهذا ما يجعله على الدَّوام متجاوزا لعصره متقدِّمًـــا عنه.
- ✓ إنَّ النّقاد والبلاغيّين اللّغويّين عند تناولهم للشّواهد في وظيفتها التّمثيليَّة لم يقتصروا في استشهادهم على جماعة دون جماعة، أو على زمن دون زمن لعلمهم أنَّ للتَّمثيل والتّوضيح فائدة ثانويّة مهمَّة في توضيح القضايا والمعاني.
- ✓ يقوم منهج السَّكَّاكِيّ على إيراد القاعدة البلاغيّة يليها الشّاهد البلاغيّ وغالبا ما يكون نصًّا قرآنيًّا، ولم يأبه للموازنة ولا لمراعاة السّياق، هادفا من هذا إلى تقديمِ الدَّليل على ما بيَّنه وأوضحه من القاعدة، وجلُّ حديثه تطبعه الصِّبْغَة المنطقيَّة والتَّناول الفلسفيّ، وهذا ما يلائم منهجه.

- ✓ كان الشّاهد القرآني الأبرز إلى تحقيق القول على القاعدة عند السَّكَّاكِيّ، فقد بحث في تأكيد المعاني وإثبات القاعدة فيها.
- ✓ انتقلت الشّواهد عند السكاكي في أغلبها انتقالا بلاغيًّا لأنَّ مفتاح العلوم يتميَّز بصبغة البلاغيّة، ولهذا فإنَّ الآكَد عند العلماء هو عدم فصْلِ البلاغة عن النّقد.
- ✓ اختيار السَّكَّاكِيّ كان منطقيًّا تحكمه القاعدة، وقد قلّد السَّكَّاكِيّ الكثير من العلماء قبله كالجرجاني في أغلب الشّواهد وإنّما زاد في الاستدلال بالآيِ الكريمة لأنَّه يربط البلاغة بالقاعدة التّعليميّة.
- ✓ تَتَّسمُ الشّواهد البلاغيّة عند السَّكَّاكِيّ بالجزئيّة، فهو يغيّب النّصيَّة، لأنَّ هَمّهُ التَّوصّل إلى القوانين البلاغيّة الكليَّة وحصرها.
- ✓ لقد كان المفتاح منطلقا لحركة الاختصارات والشُّروح الّتي جاءت بعده، ولعلَّ هذا ما جعل المؤرّخين يرمونه بتجميد البلاغة لما فيه من تطبيق لآليات المنطق والفلسفة، واتّسام منهجه بالضّبط العلميّ الدّقيق، إلَّا أنَّ أغلب من طعنوا في المفتاح لم ينطلقوا من المفتاح ذاته، أو من منهج صاحبه، أو من سياقه التّاريخيّ والثّقافيّ، ولهذا مازال المفتاح مشروعا للدّرس والبحث، ولكنْ لابدَّ من التّفريق بين عرض المسائل ودَرسِها دراسة تفصيليَّة، لأنَّ الهدف من الأخيرة هو البحث عن كل وُجوهِهَا بقطع النّظر عن المآل.كما لابدَّ من التّفريق بين ضوابط الإنجاز والعناصر المتحكِّمَة فيه الّتي قد تستفيد من ذلك الدّرس ولكنّها تكون مجبرة على الاستجابة لمقرّرات أخرى تجبرها على أنْ تُخرجها عن تلك الظّواهر وتَصوغَ الكلام صياغة يتحكّم فيها راهن القول ودواعيه، وإدراك هذا الفرق لابدَّ منه لكيْ نَفهم المسافة الفاصلة بين الوصفات التّعليميّة الّتي يَبنيها الخطاب البلاغيّ النّظريّ، وبين إنجاز اللّغة وإعطائها وَجْهَهَا العمليّ في إنتاج النّصوص. ولهذا ظهر الفرق بين التَّراكيب وخواصّ التَّراكيب، فَبَيْنَ الأمْرَيْنِ مسافة كما هي المسافة الّتي تظهر في تلقّي وتحليل الشّاهد البلاغيّ والذَّهاب في مَكْمَنِ أسراره، وبَيْنَ تلقّيه لاستعماله في تحقيق فرضيَّة قولٍ و إثبات أحقية كلامٍ.

الهوامش:

[1] **البلاغة تطوُّر وتاريخ** ، شوقي ضيف، دار المعارف، ط 4، القاهرة، مصر، 1999 ، ص 288

[2] **مناهج التَّجديد في النّحو والبلاغة والتَّفسير والأدب**، أمين الخولي ، دار المعرفة، دط، دت، مصر. ص 164.

[3] **مفتاح العلوم** ، السَّكَّاكِيّ،: تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلميَّة ، ط1، بيروت لبنان، 2000، ص 527.

[4] **ديوان ذو الرّمة** ، ص 44

[5] **دلائل الإعجاز**، الجرجانيّ عبد القاهر، قرأه وعلَّق عليه محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني، ط3، القاهرة، مصر،1992 ، ص 274.

[6] معاني القرآن: الفراء، مج1،ص14 .

[7] السَّكَّاكِيّ، **مفتاح العلوم**، ص 527،531.

[8] نفسه.

[9] انظر: محمّد بركات: **مقاصد البلاغة عند السَّكَّاكِيّ**، مجلة الفكر العربي، عدد46،1987، بيروت لبنان.

[10] نفسه

[11] نقلا عن يوسف زرقة: **القاعدة والتّذوق في بلاغة السَّكَّاكِيّ**، مجلة الجامعة الإسلاميّة، غزَّة، مج7، عدد1، جانفي 1999. ، ص191.

[12] انظر: **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، ابن الخطيب الرّازي ، مطبعة الآداب والمؤيّد، دط، 1317هـ، القاهرة، مصر، المقدّمة.

[13] مقاصد البلاغة عند السّكاكي، ص 185.

[14] مصطفى الجوزو: **الشّاهد الشّعري في البلاغة العربيّة** ، عالم الفكر، ع46، السَّنة الثَّامنة، 1987.، ص 1308.

[15] مقاصد البلاغة عند السّكاكي، ص 65.

[16] نفسه.

[17] نفسه، ص 183.

[18] المفتاح، ص 268.

[19] المفتاح، ص 278.

[20] المفتاح، ص 339.

[21] المفتاح، ص 345.

[22] المفتاح، ص 474.

[23] المفتاح، ص 475.

[24] مقاصد البلاغة عند السّكاكي: ص 183.

[25] المفتاح، ص 456-457.

[26] المفتاح، ص 472-473.

[27] نفسه.

[28] المفتاح، ص 390،352،349،326،295...

[29] المفتاح، 325-334 لا يوجد بيت شعر واحد. ومن صفحة 414 إلى 442 ما يقارب 52 آية و3 أبيات مجزوءة و3 أبيات كاملة.

[30] المفتاح، 512.

[31] الدّلائل، ص 146.

[32] المفتاح، 37.

[33] المفتاح، ص 37-38.

[34] المفتاح، ص 495-522.

[35] المفتاح، 527.

[36] المفتاح، 414.
[37] المفتاح، ص 544.
[38] المفتاح، ص 300.
[39] المفتاح، ص 416.
[40] نفسه، 513.
[41] المفتاح، ص 263.
[42] الدّلائل، 291.
[43] **في النَّقد التَّطبيقي المقارن**، غنيمي هلال، محمّد: دار نهضة مصر، ط2، مصر. 1969 ، ص 288.

قائمة المصادر والمراجع:

- **البلاغة تطوُّر وتاريخ** ، شوقي ضيف، دار المعارف، ط 4، القاهرة، مصر، 1999.
- **مناهج التَّجديد في النّحو والبلاغة والتَّفسير والأدب**، أمين الخولي ، دار المعرفة، دط، دت، مصر.
- **مفتاح العلوم** ، السَّكَّاكِيّ،: تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلميَّة ، ط1، بيروت لبنان، 2000.
- **ديوان ذو الرّمة**: غيلان بن عقبة بن مسعود، تحقيق:أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ط1995،1.
- **دلائل الإعجاز**، الجرجانيّ عبد القاهر، قرأه وعلَّق عليه محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني، ط3، القاهرة، مصر،1992.
- **معاني القرآن**: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة، ط 1، دت، مصر.
- **مقاصد البلاغة عند السَّكَّاكِيّ**: محمّد بركات، مجلة الفكر العربي، عدد46،1987، بيروت لبنان.
- **القاعدة والتّذوق في بلاغة السَّكَّاكِيّ**: يوسف زرقة ، مجلة الجامعة الإسلاميّة، غزَّة، مج7، عدد1، جانفي 1999.
- **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، ابن الخطيب الرّازي ، مطبعة الآداب والمؤيّد، دط، 1317هـ، القاهرة، مصر.
- الشّاهد الشّعري في البلاغة العربيّة: مصطفى الجوزو ، عالم الفكر، ع46، السَّنة الثَّامنة، 1987.
- في النَّقد التَّطبيقي المقارن: غنيمي هلال، محمّد: دار نهضة مصر، ط2، مصر. 1969 .